المرأة والرسام

قصة : رافئى دى موريه

ترجمة : سمير وهبى

تمددت المركيزة على كرسي طويل (شيزلونج) في البالكونة المطلة من غرفتها بالصدق . كانت تلمس كيمونا طويلا ولا شيء سواه ، بينما كان شعرها الذهبي الجميل ملفوفا بعمامة زرقاء يتفق لونها مع بريق عينيها الفاتحتين . وبالقرب منها على مسند حشبي كانت ثلاث زجاجات صغيرة بها الوان مختلفة لأظافرها. كانت قد انتهت توا من دهن طبقة على اظافرها ، ثم فردت أصابعها لكي تحكم على اللون . ان بريق ظفر الابهام أكثر لمعانا من غيره .. كان يعطي أصابعها الرقيقة لمسة من لمسات الاغراء . انه يشبه نقطة دم سقطت حديثا من جرح . هذا بينما كان ظفر السبابة فاتحا .. ولكن جماله بدا صناعيا . أما الاصبع الثالث فكان بريقه مناسبا لجمالها اذ بدا كعيدان الريح الحمراء في خصرها . كانت مثل هذا النبات الرطب وقد نما وسط الحيل الكثيف في انتظار بزوغ الشمس لكي يقدم لها بتلاته المخصبة .

كان هذا اللون هو اللون الذي ارتاحت اليه ثم امسكت بقطعة قطن ومررتها على الألوان المسؤدية عمسحتها ، ثم عمست فرشاتها ؟ في الزجاجة المناسبة ودهنت بقية الأظافر في حركات قصيرة وسريعة . وما انتهت من هذه العملية حتى القت ظهرها على الكرسي الطويل وحملت تحرك يديها حتى تتيح للمدهان ان يجف . كانت حركاتها اشبه شيء بحركات كاهنة في معبد . ونظرت الى أصابع قدميها وقررت أن تدهنها أيضا ولكن ليس الآن . كان عليها ان ترتاح وان ترتحي ، فقد كان الحر قاتلا لا يشجعها أن تترك مسند الكرسي وتنحني الى الأمام ، حتى ولو كانت هذه الانحناءة لتجميل قدميها الرائعتين ، خاصة وانها تجد متسعا من الوقت في يومها الطويل الذي تقضيه في تكاسل وهي رتابة لا تتغير . وأغمضت المركيزة عينيها .

كانت الأصوات البعيدة تأتيها من الصدق ، كما لو أنها في حلم . انها أصوات غير محددة ولذيذة ، تماما كحياتها في هذا الصدق ، حيث تعيش الآن بعيدا عن عمودية البيت . ومن البالكون الذي يعلوها وصلها صوت شخص يجر كرسيا . ومن بعيد ، عند الساحة السفلية ، رات المرسومات ينتشرون الشماسي ذات الألوان الزاهية فوق موائد الأكل . وكانت أوامر « **المترودتيل** » تصل الى أذنيها من غرفة الأكل . وفي الشقة الملاصقة لها كانت الخادمة تنظف الغرف وانتها أصوات أثاث يثقل من موضعه مصحوبة بصرير سرير يزاح . وخرج أحد الخدم لينكس البالكون المجاور . واختلطت الأصوات بعضها ببعض ثم ساد الصمت . ولم يبق سوى هدير البحر وهو يمسح الرمال الساخنة .. ومن بعيد أتتها ضحكات الأطفال ومن بينهم أطفالها هي . وعلى الشرفة ، طلب أحد الرجال قهوة وتصاعد الى أنفها رائحة سيجار . وتنهدت المركيزة وارتمت يداها الجميلتان كما تتساقط زهرتان . ما أسعدها بتلك الضجة التي تستشعرها الآن ! ولكن ليتها تدوم لمدة ساعة أخرى . كان ثمة شعور في داخلها ينبئها بأن احساس الملل والفراغ سوف يأتيها قبل انقضاء ساعة ، حتى وهي الآن هنا حرة في الاجازة .

وطارت حولها نملة وطارت برهة حول زجاجات الالوان ، ثم اختفت داخل الوردة التي قطفها أولادها وتركوها على المقعد المجاور . وحط طنينها بعد لحظة . وفتحت المركيزة عينيها ورأت النحلة وهي تحاول أن تخلص نفسها من بتلات الزهرة . وهامت النحلة لحظة قبل أن ترتفع في الهواء وتطن تائية . وبدأت المهمة تتعقد ، وامسكت المركيزة برسالة ادوار ، زوجها ، وقد سقطت على الأرض .

« .. ولهذا تجدني يا عزيزتي آسف يستحيل تماما ان أحضر عندك .. عندي شواغل أريد أن اتمها هنا وانت تعلمين اني لا اعتمد على احد في انجازها . وطبيعي اني سوف ابذل جهدي لاحضر قبل نهاية الشهر لاعود بكم . وفي الانتظار ارجو ان تتمتعوا جميعا وان ترتاحوا . اني اعلم أن هواء البحر مفيد لك . وبالأمس ذهبت لزيارة أمك وعادتين . واعتقد ان القسيس العجوز .... »

وتركت المركيزة الرسالة تسقط منها وعقدت ما بين حاجبيها . انها تجد دائما زوجها غارقا في أعماله ، عمده الصيفية ، والغابات والعقارات ، وعنده رجال القانون الذين يتعامل معهم ، ثم الأسفار المفاجئة التي يقررها دائما على عجل . كل هذه الأسباب حملت من ادوار زوجا لا يجد وقتا كافيا يخصصه لزوجته .

وقبل عقد الزواج أخبرها المحامي أن المركيز رجل أعمال وكثير التعامل وأنه رجل جاد في نظرته لأمور الحياة المتناهية . غير أنها لم تعر هذا الأمر انتباهها وقبلت الزواج به وهي تقول ٠٠ « ماذا في الدنيا أحسن من زوج جاد . وماذا أبهج من العيشة في قصر صيف او في ضيعة واسعة او في فندق خاص في العاصمة ؟ فما امتع أن يعيش الانسان في عالم سحري ومن حوله خدم مطيعون ينتظرون الأوامر ويقولون دائما في ردهم « نعم يا سيدي المركيز ، نعم يا سيدتي المركيزة ! » انه عالم ساحر بالنسبة لفتاة تنحدر من الطبقة الوسطى ، ابوها طبيب من مدينة ليون . وامها امرأة مريضة على الدوام ٠ واذا لم يظهر المركيز في حياتها فجأة ، فلم يكن امامها الا ان تتزوج مساعد والدها الشاب وان تكافح معه طول حياتها في بلدتها الصغيرة ٠

كان زواجا رومانسيا وان عارضته عائلة المركيز في بدء الأمر ٠ ولكن المناقشات احتفت بسرعة لأن المركيز تجاوز الأربعين من العمر والعروس جميلة جمالا فاتنا ، وتزوجا وانجبا طفلين ، وعاشا الجميع في سعادة تامة ٠

ولكن رغم ذلك ، قامت المركيزة من كرسيها الطويل وتوجهت الى غرفة النوم وجلست أمام المرآة ٠ وفكت الدبابيس التي تربط شعرها ٠ وحدقت الكيمونو في تكاسل ونظرت الى جسمها في المرآة نظرة تأمل ٠ وتحسرت على حياتها وهي فتاة فقيرة في بلده ليون ٠٠ وتذكرت الضحكات والقصات التي كانت تتبادلها مع صديقاتها ، والهمسات التي كانت تسمعها في الشارع عندما ينظر اليها أحد المارة أو الأوراق المعطرة التي قد توضع في يدها عندما كانت تخرج بصحبة صديقاتها لتتناول الطعام عند واحدة منهن !

اما الآن ، وهي مركيزة فلم يعد هناك شخص تقاسمه ضحكاتها أو أسرارها . فالكل جادون والزيارات الكثيرة للقصر من أهل ادوار العديدين تشغل وقتها باستمرار ٠ أمه واخوته وأخواته وزوجات اخوته طول الشتاء يقيمون في باريس ـ الأشخاص لا يتغيرون وفي أحيان قليلة ، عندما يدعو أحد رجال الأعمال ، ويتجرأ هذا المدعو امام عمالها الأحاد فيرن لها كلمة اعجاب قبل أن يحني ليقبل انامله ٠ ـ كانت حينئذ تنظر الى الصيف وتتخيل في ذهنها انه بطل مغامرة سرية تربطها به ٠٠ فترى نفسها عارية اليه وقد ركبت سيارة أجرة أسرعت بها الى بيته ، ثم صعودها بالمصعد الى الشقة الصغيرة ، وأخيرا وقوفها على بابها وقرعها الجرس قبل أن تختفي في غرفة مظلمة ! ولكن ما أن تنتهي الدعوة حتى يقوم الصيف وينصرف ، ثم تظل تقول لنفسها انه غير وسيم وان أسنانه صناعية !

وظلت تمشط شعرها وتحاول أن تبتدع تسريحة جديدة . كان يضع مثلا شريطا من لون أظافرها ٠٠ ثم لبست رداءها الابيض وألقت بوشاح من التل الرقيق على كتفيها ، وظلت تفكر في الأثر البديع الذي سوف يحدثه خروجها بهذا الشكل المغري . فعندما سيكون في الشرفة ومن حولها اضواؤها ومعها المربية الانجليزية وهي في الطريق الى المائدة ، سوف يرفع الناس جميعا عيونهم نحوها ويتابعونها باهتمام ٠ وربما توقفت لحظة لتداعب خصلة من شعر احدى بناتها أو تقرص الاخرى قرصة مليئة بعاطفة الأمومة وحفة الدلال ٠

ولكنها الآن ما زالت أمام مرآتها ٠ وفي عينيهـــا ثورة مكتومة ٠ للنســـاء الأحرياء عشاق ، كانت الاشاعات والهمسات تصل دائما الى مسامعها في الحفلات التي يقيمها ادوار ، فتعرف ان الفضائح موجودة في أوساط النبلاء الذين تنتمي الآن اليهم ٠كانت تسمع الى كلمات مثل « **يقولون ان** » ، او « **هل تعلمون ان** » وسرعان ما تهتز الأكتاف بحركة عدم مبالاة ، وكان يحدث أحيانا في حفلات الشاي أن تنصرف احدى المدعوات مبكرة ، قبل السادسة مساء ، وهي تقول انها مدعوة الى حفلة أخرى . فكانت المركيزة تصـــحبها حتى باب القصر وتودعها بكلمات كلها أسف ولكن هذا لا يمنعها بأن تتخيـــل صيغتها وقد ذهبت بعد عشرين دقيقة الى حيث ينتظرها عشيقها وترى بعين الخيال الكونتسة الصغيرة وقد سقطت عنها ملابسها !

وحتى « البر » صديقتها في المدرسة وهي الآن متزوجة ومقيمة في ليون منذ ست سنوات ، لهـــا عشيق ، وعندما تكلمت اليها ـ لا تسميه باسمه وانما تقول « صديقي » ـ كانت تقابله مرتين في الأسبوع، في يومي الاثنين والخميس ، فتركت سيارته ويتريضان في الريف ـ حتى في أيام الشتاء ، وكانت البر

تكتب للمركيزة وتقول « تبدو لى مغامرتى شعبية بالنسبة اليك يا من تنتمى الى طبقة النبلاء ! كم أتحيل عدد المحبين لك ؟ كم معزم بك وقع أســـير حبك ؟ حدثينى عن مغـــامراتك ، حدثينى عن باريس وعن حفلاتها ! ومن هو الشخص الذى وقع اختيارك عليه لهذا الموسم ؟ » .

كانت المركيزة ترد على رسائل صديقتها فى ايهام يثير التساؤل ، ولكن فى لباقه ودعابة ، وتصف لها بالتفصيل الرداء الذى لبسته فى تلك الحفله او تلك ، غير أنها لم تكن تقول لها ان الحفلات كانت تنتهى فى منتصف الليل ، بعد أن تكون الدقائق قد مضت متثاقله ، وأن كل ما تعرفه عن باريس ، عاصمة النور والجمال ، لا يتجاوز تلك الزيارات التى تقضيها بالسياره الى صالونى الملابس أو «الكوافيره» وهى دائما نصحبة الأولاد ومربيتهم الانجليزية . اما عن حياتها كسيدة القصر ، فكان دائما فى استطاعتها أن تصف الغرف وعدد الزوار الكثيرين والطريق المرصوع بالاشجار الباسقة والغابة التى تحيط بالقصر ، ولكنها لم تكن تتحدث عن الأمطار التى تتساقط كل يوم ، حتى فى أيام الربيع ، ولا عن حرارة الجو الخانق عندما يأتى الصيف منكرا ، فيقف بوحشته كل الصيف بغلاف من الصمت القاتل .

ـ انى آسف يا سيدتى ، كنت اظن أن سيدتى بالخارج !

واعتذر **الخادم** الذى دخل الغرفة دون أن يقرع بابها ، وانصرف والمفشة فى يده ولكن ليس قبل أن يلقى عليها نظرة فاحصة وهى عارية امام المرآة ، وكان لا يستطيع أن يجهل وجودها بالغرفة وهى التى كانت منذ لحظة فى الشرفة وقد رآها وهو فى الغرفة المجاورة . لقد لمحت فى نظرته شيئا من الأسف وقد امتزج بالاعجاب الصارخ ، كان نظرته تقول « انها جميله ورغم ذلك وحيده ! » .

لقد بدا الطقس يتقلب ، اذ انقطع النسيم تماما ، وانسابت حبات من العرق على جسمها الناعم ، وهى تطه وتتكاسل ، ارتدت الفستان الابيض وخرجت الى الشرفة ، بعد أن غابت عنيها وراء نظارات شمسية ، وبينما كانت تتكىء بيديها على الحاجز المشبك للشرفة لتضمها السخونة المتصاعدة منه ، ووصلت الى أنفها رائحة دخان سيجاره آتية من بعيد ، وشاهدت أحد الخرسومات ياتى بأكوات فيها شراب ويضعها على مائدة فى الشرفة الكبيرة ودخلت الى مسامعها اصوات آتية من تصادم زجاجتين ، صاحبتها ضحكة رجل وحديث سيدة .

ومر فى هـــذا الوقت كلب كبير من النـــوع الالزاسى ، كان يمشى وكأنه يبحث عن مكان ظليل يهرب اليه من قيظ الصيف وشمسه الحارقة ، ومن بعيد رأت المركيزة مجموعة من الشباب وقد لفحت الشمس وجوههم واجسادهم العارية ، كانوا يخرجون توا من البحر وجروا الى الشاطىء وهم يصرخون فى طلب شراب «المارتينى» كان يبدو أنهم أمريكيون ، وبينما رمى الجميع حقائبهم على الكراسى أطل واحد منهم منادى الكلب ، فرمقته المركيزة بنظرة فيها حقد ممزوج بالغيرة ، كان الجميع يمرح فى حرية يدخنون ويأتون ولا رقيب عليهم ، يركبون سيارة اذا شاءوا أو يدهنون مشيا على الأقدام ، كان مرحهم فى الحياة يمحى كل حياء ، لأن تصرفاتهم لم تكن تخفى لحظة واحدة من الاعمال ، ولم يعرفوا قط الوقوف وراء باب أغلق نصفه ، وظلت المركيزة تفكر فى الحب ، وترعرت وردة ووضعتها فى فتحة صدرها ، كان يخيل اليها أن الحب شىء صامت ، شىء لطيف بعيد كل البعد عن الصخب والجلبه ، والضحكات المتعالية كان الحب عندها أقرب الى الفصول الذى يعلوه الخـــوف ، حتى اذا ما ذهب الخوف حلت محله الثقة الحريئة ، انه لا يكون اتفاقا بين أصدقاء ، وانما عاطفه نشأ بين مجهولين ..

وبدا **المصطافون يعودون** واحدا بعد واحد الى الفندق ، وامتلأت الموائد جميعها ، وأفرغت السيارات الكبيرة حمولتها من الناس الذين اتوا لتناول الغداء ، واحتفظوا مع نزلاء الفندق ، وتصاعد الصخب من الموائد ، وضحكات امتزجت برنين الزجاجات الفارغة والأكواب والأطباق ، ووصلت الطفلتان ومن خلفهما المربية الانجليزية وشق الثلاثة طريقهم فى هدا الزحام كانت البنتان مثل عروستى جميلتين من عرائس الألمان وقد ارتديتا ملابس جميلة ، ولما اقتربوا من الشرفة العالية حركوا ايديهم لتحية أمهم « **يا اماه** ، **يا اماه** » ، ومالت المركيزة الى الأمام ، وكالمعتاد اثار هذا المشهد انتباه الجميع ، ونظر أحد الأشخاص الى البنتين ، ثم الى الأم وابتسم ، وابتسم رجل آخر واشار الى أصدقائه اشارة جعلهم يضحكون مثله ، وهكذا تصاعدت من كل جانب اشارات الاعجاب ، ذلك الاعجاب الذى يملأ دورته كل يوم عندما تنزل المركيزة ، المركيزة العائشة وسط حولها ملاكاها الطاهران ، هذا ما كانت تتمتع به فى كل يوم ، عندما تنزل

الى غرفة الطعام ، موجة تسبيح وطوفان من الاعجاب ، ثم بعد ذلك النسيان الكامل ، لأن كل فرد ينصرف بعد الأكل الى النوم أو الى البحر أو الى لعب التنس . أما هي فتبقى جميلة ووحيدة معها أطفالها والمس كلاى الانجليزية .

وصاحت احدى البنتين : انظرى يا أماه لقد وجدت نجمة البحـــر هذه وسوف آخذها معي عندما نعود .

ـ لا . لا . انها لى أنا التى رايتها اولا ..

وتشاجرت البنتان معا . وصاحت الأم بشدة : **سيلست ! هيليين ! كفوا عن هذه المشاجرة . الكما تجلبان لى الصداع ..**

ـ هل سيدتي متعبة ؟ يجب أن تستريحي بعد الأكل ، فالجو قاس ..

تحدثت المس كلاى الى سيدتها فى أدب بالغ ، ثم غيرت لهجتها وهى تحدث البنتين فى هذا الجو المزعج ، سوف ترتاح جميعا بعد الأكل مباشرة .

وطافت فى ذهن المركيزة أراء غريبة عن الراحة . الراحة .. « أنا لا أفعل شيئا سوى الراحة ! ارتاحي يا عزيزتي ، فان وجهك يظهر عليه التعب . فى الشتاء كما فى الصيف ، لا تتغير الاسطوانة .. التى تسمعها من زوجها ، ومن المربية ، ومن أخوات زوجها . كانت حياتها تتلخص فى النهوض من النوم صباحا ، ثم الراحة فالراحة واخيرا الراحة ! وبعد الظهر كانت أيضا ترتاح من الساعة الثـــانية الى الرابعة !

وردت المركيزة على ملاحظة المس كلاى : « **انا لست متعبة اليوم** » ثم غيرت لهجتها وهى التى تحدث المربية دائما برقة بالغة

« **سوف أذهب بعد الغداء الى البلد . سوف أذهب هناك للتزحلق** » .

ورفعت البنتان عيونهما فى دهشة واحمرت المس كلاى خجلا

ـ ان الجو شديد اليوم وسوف تتعبين نفسك بدون مبرر ، خاصة وان المحلات العامة تغلق فيما بين الواحدة والثالثة . فلماذا لا تنتظرين الى وقت غروب الشمس ، ويمكنك اذ ذاك أن تصحبى الأولاد بينما أظل أنا هنا أشطب بعض الاعمال المنزلية ! »

ولم تجب المركيزة ثم قامت توا الى غرفتها ، بينما ظل الباقون يتمون أكلهم . لان سيلست الصغيرة بطيئة فى تناول الأكل . وفى غرفتها وقفت المركيزة امام المرآة واخرجت علب الزينة ورسمت شفتيها بالاحمر وعطرت جانبى اذنيها .

ومن الغرفة المجاورة وصلت الى مسامعها صوت الأطفال والمس كلاى تحاول تهويمهم . وأخذت المركيزة حقيبتها المصنوعة من الرافيا المجدول وتركت محفظتها تنزلق فيها ورمت فيها لفة من لفف الأقلام . ثم مضت على أطراف قدميها أمام غرفة الأطفال ووصلت أخيرا الى الطريق المترب .

ومضت فى مشيتها والحصى الصغير يدخل فى حذائها ذى الجـــوانب المفتوحة فيؤلمها ، بينما كانت الشمس تلسع رأسها . وتبين لها أن ما كانت تظنه عملا جديدا وأصيلا لا قيمة له ولا معنى له . بل هو سخيف . كان الطريق خاليا ، والشاطئ مهجورا لان المصطافين الذين كانوا يملأونه صيفه هرعـــوا الى بيوتهم لتصيبوا قدرا من الراحة .

ولما وصلت الى المدينة تحمست بنوه المس كلاى ، فقد كانت المحلات جميعها مغلقة . لان ساعات الراحة كانت مقدسة وتسود على سكان القرية الصغيرة . وظلت المركيزة تخطر وحدها فى الشارع الكبير وفى يدها حقيبتها التى تحركها على نغمة خطواتها المتكاسلة . ومن بعيد بدا المقهى خاليا الا من كلب صغير ارمنى على الارض معمض العينين ، ومن حين لآخر يحرك ذيله ليطرد الذباب . كان الذباب كثيرا فى كل مكان . رائحة فى واجهة الصيدلية وهو يتزاحم حـــول قناني الدواء والزيوت الشمســـية وأدوات الزينة . ورائحة أيضا يتراقص حول النظارات الشـــمسية وعرائس الأطفال والأحـــذية الصيفية المجدولة بالحبال . ورائحة أيضا عند الجزار يسبح فى الدماء ويلطخ ما حوله باللون الأحمر .

وسمعت المركيزة صوت راديو يرغى فجأة ثم يصمت . حتى مكتب البريد كان مغلقا . طلبت المركيزة ان فى امكانها أن تضيع بضع دقائق فى شراء طوابع . وعالجت أكرة الباب فلم تفتح !

وبدا العرق ينساب تحت ردائها .. وابتلت قدماها وهما في الصندل الفاني . كانت الشمس ساطعة والجو ساخنا .. وفجأة احست برغبة شديدة تحدوها الى البحث عن مكان ظليل ، مكان يكون رطبا وبعيدا عن هذا اللهيب المشتعل .. كانت تحلم بمكان هادىء منعزل .. تكون فيه مثلا حنفية ماء يتساقط منها على صورة خيط رفيع فتبلل قدميها او ترطب يديها .. ولكن أين ؟ وأصابها ما يشبه اليأس حتى كادت الدموع تطفر من عينيها .. واستدارت على عقبيها ورأت حارة مسدودة على كل ناحية منها دكان . ونزلت السلالم التي قادتها الى حوش صغير معتم . ووقفت برهة وقد اراحت رأسها على الجدار الرطب . وفجأة ، فتح مصراع خشب وأطل منه رأس . وارتبكت المركيزة وقالت على سبيل الاعتذار وقد شعرت بأنها جاءت تتجسس على أناس يعيشون في المدروعات :

ـ انا آسفة ..

غير انها صمتت ، لأن الوجه الذي ظهر كان جميلا وسمحا . كان يمكن أن يكون وجه قديس كرسوم القديسين على بواقد الكنائس البديعة . شعر محدول يحيط بوجه بريء له انف دقيق وعينان كعيني الغزال . وسمعته يقول :

ـ هل سيدتي المركيزة تريد شيئا ؟

وسرها أن عرفها . وأسرها صوته الجميل الذي يكشف عن شخص مثقف ويتجاوب مع عيون صاحبه الشبيهة بعيني الغزال .

ورنت عليه في أدب :

ـ ان الطقس حار ، والمحلات جميعها مغلقة . لقد شعرت بتعب .. وانا آسفة لاني اقتحمت هذا الفناء الخاص .. »

واختفى الوجه من النافذة لأن صاحبه جرى يفتح بابا لم تتبين السيدة مكانه . وبعد قليل كانت جالسة على كرسي على مدخل غرفة مظلمة ورطبة . ورأت في يديه وعاء كبيرا به ماء . وقالت له : « **شكرا لك . شكرا لك** » .

ورفعت عينيها نحوه وشاهدت الخشوع الذي يشع من وجهه وهو ينظر اليها في تمهل ويقول في صوت يفيض رقة :

ـ هل استطيع ان افعل شيئا لسيدتي ؟

وهزت رأسها بالنفي ، بينما كان قلبها يركض سرورا ، لأن معجبا نظر اليها وعرفها منذ اللحظة الأولى التي التقت به وهو يفتح المصراع الخشبي لنافذته . وامتدت يدها الى الوشاح الذي يغطي كتفيها وصدره ، بينما سقطت عينا الغزال على الوردة التي أطلت من صدرها الرائع . وسألته المركيزة :

كيف عرفت شخصيتي ؟

ـ لقد حضرت الى دكاني منذ ثلاثة ايام . وكان أولادك معك واشتريتم أفلاما للتصوير . »

ونظرت اليه بدهشة . لقد تذكرت فعلا انها اشترت أفلاما منذ ثلاثة أيام من حانوت صغير رئيسه صاحبه بلافتات كبيرة تحمل اسم « كودالك » . وتذكرت أيضا أن بالمحل سيدة دميمة وعرجاء ولم ترد أن يرى أولادها عاهة السيدة فيسخروا منها ، وقد تعلت منها ضحكة ، فطلبت مشترياتها بسرعة وامرت بأن ترسل الى الصندل .

ـ ايها الختى التي باعت لك فقد كنت في نهاية الحانوت لاني اترك مهمة خدمة الزبائن لأختي . انا مصور أقوم بتصوير الناس والمناظر في الريف ، ثم تبيع المناظر للمصيفين .

ـ نعم .. لقد فهمت !

وشربت بعض الماء ، كما شربت أيضا الاعجاب الذي كان يشع من عيني الشاب .

وأخرجت لفة صغيرة من حقيبتها وقالت : « لقد اتيت بفيلم اريد تحميضه .. هلا طبعت لي منه صورا ؟

ـ بالتأكيد . سأفعل اي شيء تطلبه مني سيدتي المركيزة . منذ اليوم الذي جئت فيه الى المحل وانا ... »

وجمد الكلام على لسانه بينما اشتعل وجهه احمرارا ، ثم أدار وجهه ارتباكا . وكشفت المركيزة ضحكة بدأت ترتسم على محياها الملائكي . كانت تظن أن هذا الاعجاب الزائد سخيف ، لكنها رغم ذلك شعرت بأنه يعطيها احساسا قويا بالسلطان والسيطرة . ثم قالت له :

« وماذا حدث لك منذ اليوم الذي جئت فيه الى محلك ؟ »

ونظر الفتى اليها ثانية وقال : « وأنا لا افكر في شيء سواك ، لا شيء غيرك أنت . » قال كلامه في ايمان عميق اقرعها . وابتسمت المرأة وتأوهت الاباء وهي تقول : « اني امرأة عادية جدا . واذا عرفتني جيدا سوف يخيب ظنك . »

وظلت تفكر فيما حدث لها وفي قوة سيطرتها على الموقف . لم تشعر بأقل اهانة أو ضيق وهي الآن في بدروم تتحدث مع مصور لا شأن له ويصارحها بشديد اعجابه . هذه أمور مضحكة فعلا . « مسكين هذا الرجل لأنه يتحدث بلهجة جادة ، وكأنه يعتقد في صدق ما يقوله ! » ثم قالت تحدثه :

ـ « **هل ستأخذ الفيلم لتحميضه ؟** »

ولم يستطع الفتى أن يرفع نظره عنها ، وبدورها نظرت اليه في حيرة حتى خفض عينيه عنها بعد أن صعد الدم الى رأسه . وقال لها : « **اذا عدت من نفس الطريق فتحت المحل من اجلك** » .

وكانت هي تنظر اليه الآن الى صدره العاري وشعره المجدول . وسألته : « **الا يمكنني ان اترك لك الفيلم هنا ؟** »

ـ لا . فسيكون قبولي له حسب الأصول المرعية . واستدارت على عقبيها وصعدت درجات السلم حتى وصلت الى الشارع الملتهب بحرارة الشمس . وانطرت على الطوار حتى سمعت صوت المفتاح يدور في باب المحل . وعلى قصد انتظرت فترة في الطريق قبل أن تخطو داخل الدكان . الذي بدا هواؤه ثقيلا وحارا بالنسبة للبدروم الرطب . ورأت الشاب خلف حاجز البيع وقد لبس قميصا ازرق . فاشمأزت من منظره اذ بدا لها كبائع حقير لا شأن له . وسألته :

ـ « **ومتى ستكون الصور جاهزة ؟** »

وتأملها طويلا من جديد وهو يرد على سؤالها : « **غدا** » وفي تلك اللحظة لم تره السيدة بقبعته الأرزق . وانما شاهدت في خيالها بصدره العاري . وقالت له : **مادمت مصورا . اود أن اطلب اليك أن تحضر الى الفندق لتصورني أنا واولادي .**

ـ **حقا ؟**

ـ **نعم .**

وشعر الفتى بوميض حمى هز كيانه . وحتى قامته تحت الحاجز الخشبي تظاهرا بأنه يفتش عن قطعة من الدوبارة . ورأت السيدة يديه ترتجفان وانه مضطرب كل الاضطراب وان قلبه يخفق بشدة . وسمعته يقول :

ـ **سوف آتي الفندق في الموعد الذي تريدين .**

ـ **الأفضل أن يكون ذلك في الصباح ، حول الساعة الحادية عشرة .** »

وخرجت في تكاسل من الحانوت دون أن تودعه ، واختارت الطريق ولما نظرت في زجاج المحل المقابل لمحله . رأى خياله قد اقترب من الباب بعد أن خلع قميصه .

وصار المحل مغلقا لأن فترة الراحة لم تنته بعد ، ولاحظت للمرة الاولى أنه يعرج مثل أخته . كانت قدمه اليمنى في حذاء له نعل سميك ، غير أن عاهته لم ترعجها ولم تمنعها رغبته في السخرية كما حدث لها مع أخته . بل بالعكس كانت هذه القدم القصيرة تؤثر على كيانها تأثيرا خلابا لم تعرفه من قبل .

وفي صباح الغد وفي تمام الساعة الحادية عشرة ، أخبر موظف الفندق خادمة الغرفة أن السيد «بولو» المصور ينتظر أوامر المركيزة . ونزلت الخادمة تخبره بأن سيدتها تطلب من السيد بول أن يتكرم بالصعود الى جناحها الخاص . وبعد برهة ، سمعت طرقا مؤدبا على الباب :

ـ **ادخل ..**

كانت المركيزة واقفة بين ابنيها وكان الثلاثة يكونون مشهدا رائعا . كانت السيدة ترتدي اليوم رداء من الصوف اللامع وقد عقصت شعرها بطريقة تختلف عن تسريحة الأمس التي كانت تظهرها كفتاة ذات

جديلتين مربوطتين بشريط . أما اليوم فقد رفعت شعرها الى اعلى بعد ان فرقته من المنتصف وشدته الى الخلف ، فظهرت أذناها الصغيرتان وقد تدلى من كل منهما قرط براق .

ووقف المصور لحظة على الباب دون أن يتحرك . أما الطفلتان ظلتا مزدحمتين ، تنظران في صمت الى قدمه القصيرة بشيء من الاستغراب ولكنهما لم تتحدثا ، لأن الأم أنذرتهما قبل مجيئه .

وقدمت الوكيزة استيفا وهي تقول : **والآن قل لنا أين يجب ان نجلس وكيف ؟**

ولم تنحنيا البنتان احتراما كما تعودتا أن تفعلا أمام الضيوف ، وذلك لأن الأم قالت لهما ان هذا الترحيب ليس ضروريا ، لأن المسيو بول مصور يعمل في جامعة البلدة .

ـ يا سيدتي . كم أحب أن اصوركن جميعا واثنتن في مكانكن . انه وضع طبيعي فيه انسجام .

ـ كما تريد . ياهيلين قفي ولا تتحركي .

ـ ارجوكن الانتظار حتى أجري ضبط العدسات .

وذهب انصافه لأنه كان منهمكا فى اعداد الآلات وضبط الآلات . ونظرت المركيزة اليه وهو مستغرق فى تركيب الحامل المثلث وشد الستارة السوداء ولاحظت أن يديه دقيقتان وناعمتان . لم تكونا يدى عامل يدوى ، ولا يدى بائع فى حانوت .. كانت يدا فنان أصيل . ووقعت عيناها على قدمه القصيرة ، ولكنها لم تشمئز منها . فقد كانت عاهتها أقل شدة من عاهة أخيه . كان يجر قدمه ببطء ، فانار شفقتها عليه ، وقد تخيلت أنه يتألم منها خاصة فى الطقس الحار عندما يضطر دائما الى سحبها خلفه .

ـ والآن استعدى يا سيدتى .

ورفعت المركيزة نظرها من قدمه وقد خفق شعور بالالم ، ثم أخذت جلستها بطريقة طبيعية وضمت الستين نحوها بساعديها بعد أن رسمت ابتسامة خلابة على شفتيها .

ونظر بعينيه الثاقبتين اليها . كان صوته منخفضا وحنونا . وكما حدث بالامس ، غمرت السعادة قلبه وداس على مفتاح آلة التصوير . وطلب أن يصورها مرة ثانية . وأحست انه عندما كان يتوقف قبل ان يدوس على مفتاح التصوير ، فليس لضبط العدسات كما يدعى ، وانما لأنه كان لا يستطيع ان يرفع نظره عنها .

ثم أخذ صورا فى الشرفة وفى الغرفة . وبعد نصف ساعة اشتد ضجيج الأطفال ، فاعتذرت وقالت « ان الدنيا حر » ثم نادت هيلين وسيلست وقالت لهما « خذا لعبكما وانتعدا فى نهاية الشرفة ! » وجرت الستان الى داخل الشرفة . وتركت المركيزة المصور وحده بينما كان منهمكا فى ملء آلته بافلام جديدة . ولما عادت اعتذرت قائلة « انت تعرف .. ن الأطفال هكذا ـ انهم لا يعرفون ماذا يريدون .. وانت يا مسيو بول كنت مهم صبورا جدا . »

ثم قامت وقطفت وردة من الشرفة وأعطتهما بيديها فى رفق بالغ .

ولما رآها المصور ، سألها فى حرارة « أود أن أسألك .. اذا سمحت لى ـ ان أصورك صورة وانت وحدك بدون الأطفال ـ »

فسألته : **ماذا تريد على وجه التحديد ؟**

ـ **اريد أن تسمحى لى بأن أصورك صورة او اثنتين ، وانت وحدك .. بدون الاولاد ..**

ـ **نعم .. بلا شك .. فليس عندى ما افعله الآن !**

واستلقت على الكرسى الطويل واستندت على مخدات بينما ارتكزت برأسها على ساعدها .

وسألته : **أهكذا تريدنى ؟**

واختبأ وراء الستارة السوداء ثم مكث يضبط الآلة ، واقترب منها وهو يضرع : « اذا سمحت ، ارفعى يدك قليلا ، واخفضى راسك قليلا ..

ثم أمسك يدها ووضعها فى الموضع المناسب ، ثم قرب أصابعه فى خجل من ذقنها ورفع راسها فى رفق ، واغمضت المركيزة عينيها ولكنه لم يرفع يده عنها . وبدون أن يدرى ، ارتجفت أصابعه على بشرتها وجرت خفيفة على عنقها . مضت أصابعه كخصلة حفيف ، مثل لمسة العصفور الرقيق .

وقال لها : **نعم هكذا ..**

ورفعت المركيزة عينيها نحوه ، ورأته يعود الى آلته . ولم تتحرك بسرعة كما فعل الأطفال . وسمحت لبول أن يصورها مرة ، ومرة ثانية ، ومرة ثالثة ، وعادت الستان لصحبتان ثانية ومكثتا تلعبان فى الشرفة فى صحبة حلقت آلفة بين الشخصين الآخرين . وكبرت الثقة فى نفسه وبدا يقترح عليها أوضاعا قبلتها بارتياح تام ، وفى مرة أو مرتين لم يعجبه رسمها واقترب منها ليصححه . **ليس هكذا . لا .. اقتربى ..**

وكان اذ ذاك يقترب منها ويركع امامها ويمسد قدمها قليلا او يلمس كتفها . كانت كل لمسة منه أجرأ من سابقتها وأصبحت يده أكثر جراة وأصابعه أكثر اقداما . ولكنها عندما كانت تريد أن تحبر نظره أن يقابل نظرها ، كان يحدق عينيه فى حياء وكأنه يخجل مما فعل . هكذا بينما كانت عيناه ملتصقتين برقة بالغة لا تؤيد مطلقا جراة يديه . كانت المركيزة تشعر بالصراع الذى يطحنه طحنا وتسر من جراء ذلك سرورا داخليا . ولما أصلحت من ردائها للمرة الثانية ، تبين لها أن وجهها اصفر وان حبات العرق تتلؤه ـ فقالت : **ان الحر لا يطاق . لقد اخذت لى صورا كثيرة اليوم !**

ـ **كما تشائين يا سيدتى . ان الحر فعلا شديد ويحسن أن نتوقف ..**

ثم قامت في خفة . لم تكن تشعر بأى اضطراب أو تعب . كانت على العكس مليئة بقوة جديدة لم تعرفها من قبل . وفكرت في الذهاب بعد الغداء مباشرة الى البحر لتستحم . غير أن الأمر لم يكن هكذا بالنسبة للمصور ، فقد كان متعبا تحر حبات العرق من جبهته ويجر قدمه في بطء شديد . كان يبدو أنه متعب . ثم تشاغلت المركيزة عنه بالنظر الى الصور التي طبعها لها من فيلم الأمس وقالت : هذه الصور ليست متقنة . كان يجب أن أتعلم هذا الفن .. هل يمكنك أن تعطيني دروسا ؟

ـ ان ما ينقصك هو بعض التمرين . عندما تدات الاحتراف . كانت عندى آلة مثل التي عندك . وحتى الآن استعين بها لتصوير المناظر الخارجية . انى انجح بها مثل نجاحي بآلة كبيرة .

ثم وضعت الصور جانبا لأن المصور كان مستعدا للذهاب فسألته

ـ انك مشغول ونحن في وسط الموسم الآن . فمتى تجد الوقت الكافي لكي تصور المناظر الخارجية ؟

ـ انى أجده يا سيدتى ، بل أحب التصوير الخارجي أكثر من تصوير الاستديو . واحب تصوير الطبيعة أكثر من تصوير الناس . وقلما تعرض لى فرصة بهيجة كاليوم مثلا ..

ونظرت اليه وقرأت في عينيه معاني التواضع وحرارة الاخلاص . وأمعنت في النظر اليه حتى خفض عينيه وهو مضطرب .

قال لها : ان المنظر جميل من الشاطئ .. ولا شك انك شاهدته في نزهاتك . انى في كل يوم بعد الظهر آخذ آلتي الصغيرة واذهب الى هناك فوق المرتفعات على يمين الشاطئ .

ومن الشرفة اشار باصبعه نحو المكان ، وتابعت نظرها اشارته . كان المرتفع هناك يبدو لامعا من بعيد ..

واكمل الفنى حديثه : يوم جئت في البدروم كنت مصادفة هناك . لانه كان لزاما على أن أطبع صورا لسياح كانوا على وشك السفر . غير أن المعتاد ن أكون على الشاطئ في تلك الساعة .

ـ ولكن هناك الطقس حار ! أليس كذلك ؟

ـ ربما . ولكن الريح جميلة على المرتفع . وفيما بين الساعة الواحدة والرابعة ، يكون الناس في راحة ، فلا أحد هناك وينتابنى شعور بان تلك المناظر الجميلة ملكي أنا وحدى !

ـ نعم . انى افهمك .

وظل الصمت بينهما برهة . كان شيئا بينهما لا يعرفان التعبير عنه . كانت المركيزة تعبث بمنديل من الدنتيلا في يدها فعقدته حول معصمها في تكاسل وبطء . وقطعت الصمت بقولها : يجب أن أحاول الذهاب مرة في هذا الحر القاسى .

وفى هذه اللحظة حضرت المس كلاى الى الشرفة لتطلب من الطفلين أن يغتسلا قبل الذهاب الى المائدة . وانسحب المصور وهو يستأذن للانصراف في احترام . والقت المركيزة نظرة الى ساعتها فوجدت ان الساعة جاوزت الظهر . ولاحظت ان الموائد قد بدأت تمتلئ بالناس وجاءت الأصوات المعهودة من الشرفة السفلى مما فيها من دمدمة الناس وصوت الاطباق مثل كل اليوم وكانت لم تلاحظ كل هذا الصخب منذ دقائق .

وصرفت المصور بيرود وعدم مبالاة ، فقد انتهت الجلسة وجاءت مس كلاى تأخذ الصبيين ، وشكرته قائلة

اشكرك . سوف أمر بعد أيام على المحل لارى تجارب الصور قبل طباعتها . فوداعا الآن .

وانحنى وخرج كموظف أدى عمله على وجه تام . وهمست المس كلاى : أرجو أن يكون قد نجح في تصوير سيدتي . ان سيدى الماركيز سيكون مسرورا أن يتلقى بعضا منها .

ولم تجب المركيزة على ملاحظتها ، وانما تشاغلت في جمع القرط الذى بدا فجأة لسبب غير معلوم غير ملائم لمزاجها الحالى . سوف تذهب الى مائدة الطعام اليوم دون حلى . وحتى دون خاتم . فاليوم ، جمالها وحده يكفى .

ومضت ثلاثة أيام دون أن تذهب المركيزة الى البلدة الصغيرة . ففى اليوم الاول ذهبت الى الشاطئ .

وقضت بعد الظهر في مشاهدة مباراة للتنس ، وقضت اليوم التالي مع ابنتيها لأن سمحت للمس كلاى باجازة قصيرة تزور فيها القلاع المحصنة المحيطة بالبلدة على طول الشاطىء . أما اليوم الثالث ، فقد طلبت من المس كلاى وبنتيها الذهاب الى محل التصوير لاحضار تجارب الصور ، وحين بها مربوطة في لفة أنيقة. وفحصتها المركيزة ووجدت الصور رائعة ، خاصة تلك الصور التي ظهرت فيها منفردة . وتحققت بأن تلك الصور ليست رائعة فقط ، وانما هي في الواقع أجمل الصور الشخصية التي تملكها على الاطلاق .

وكانت المس كلاى في غاية السعادة وقد طلبت من سيدتها أن تعطيها صـــورة ترسلها الى اهلها بانجلترا . وكانت لا تعلم كيف تقول لها : من كان يصدق أن مصورا حقيرا مثله يصور تلك الصور الرائعة ؟ اذا كانت هذه الصور أخذت في باريس لكلفتك مبلغا ضخما .

وردت عليها المركيزة وهي تتثاءب : ليست الصور سيئة ! ان التي أنا فيها منفردة أحسن من الصور الاخرى !

ثم لفت الصور في رباطها الأصلية وخباتها في الدرج . وسألت المربية : **هل كان المســيو بول سعيدا ؟**

وردت المس كلاى : **انه لم يذكر شيئا . ولكنه كان يبدو حزينا لأنك لم تحضري بنفسك . وقال ان الصور جاهزة منذ الأمس . وسأل اذا كنت في صحة جيدة ، ورد الاطفال عليه بأنك ذهبت الى الشاطىء للاستحمام .**

وردت المركيزة : **ان الطقس حار في البلدة ، هنا فضلا عن التراب الذي أضيق به .**

وفي اليوم التالي ، بينما كانت البنتان والمس كلاى يستريحن ، تسللت المركيزة على أطراف أصابعها بعد أن لبست رداء قصيرا .. ثم تركت غرفتها وقد علقت آلة التصوير على كتفها واتجهت نحو الشاطىء . كانت الشمس لاسعة ولكنها لم تعبأ كثيرا بلهيبها ، وسرعان ما وصلت الى الطريق الضيق الذي يقود الى المرتفع . كانت السائحات السرحسية الرطبة تصل الى ساقيها العاريتين ، فتشعر بلذة مبهمة . كانت المركيزة تمشي في بطء بطريقتها المعهودة ولا تشعر مطلقا بأنها متعبة أو قلقة . وسرعان ما أشرفت على الطريق الذي يطل على الصخور . كانت وحيدة في المكان ، وعلى بعد يدت لها صفوف الكبائن الخشبية ، كمكعبات الاطفال التي يلعبون بها . وكان البحر هادئا حوله . وحتى هنا حيث الماء يداعب الصخور في رفق لم يكن ثمة موج اطلاقا .

وفجأة شعرت المركيزة بوميض خاطف . ولكنها لم تهتم كثيرا بالأمر . ثم دارت على عقبيها واهتمت بآلتها الفوتوغرافية وجهزتها للتصوير ، وصورت المنظر الذي أمامها ، ثم منظرا آخر .

وسمعت من خلفها حفيف أشجار . والتفتت الى الصوت ثم صاحت في دهشة :

ـ أهذا أنت يا بول !

لم يكن يلبس قميصه الأزرق ، كان يرتدي قميصا مفتوحا .. اذ كان الوقت ما زال في فترة الراحة. كانت خصلات ترسم هالة حول قسمات وجهه الرقيقة . أما عيناه فقد كان لهما بريق ساحر جعلها لا تستطيع أن تتجاهلهما . وقالت له وهي تبتسم : **انظر لقد اتبعت نصيحتك وجئت الى هنا لأتمتع بالمناظر الخلابة . ولكن لا أدري اذا كنت أستخدمها جيدا . فهل أرشدتني ؟**

واقترب منها وأمسك بالآلة ويديها ليضعهما في الوضع السليم .

وشكرته المركيزة ، غير انها ابتعدت لأنها شعرت بقلبها يدق في عنف ، وكانت لا تستطيع أن تتحكم في عواطفها المشبوبة .

وسألته : **هل معك آلتك ؟**

ـ نعم . يا سيدتي . لقد تركتها في مخبأ هناك . انه مكاني المفضل .. ويقع على حافة المنحدر . في الربيع آتي الى هنا لمشاهدة العصافير وتصويرها .

وسألته : **ألا تريني هذا المكان ؟**

وسبقها وقد شق طريقه بين الحشائش الوحشية حتى وصل الى رأس المنحدر . كان هناك مخبأ أشبه شيء بعش موجود في حضن الأحراش . كانت الفتحة الوحيدة في هذا المخبأ تطل على المنحدر الوعر الذي يصل الى صخور البحر . وأمعنت بيديها الحشائش العالية لتدخل المخبأ السري والتفتت حولها وهي تضحك

في سرور بالغ . ثم جلست الى الارض بكل بساطه كما يفعل الاطفال في الرحلات ، وامسكت بالكتاب المهمل فوق آلة التصوير بالقرب من سترته .. وسألته :

ـ هل تقرأ كثيرا ؟

ـ نعم يا سيدتي .. اني احب القراءة .

والقت نظرة على غلاف الكتاب . كان رواية رخيصة من النوع الذي يجده بكثرة عند صديقاتها ويقرأنها في الخفاء عندما كن في المدرسة الثانوية . والقت الكتاب جانبا وهي تسأل : **هل القصة مسلية ؟**

ونظر اليها بعينيه اللتين تشبهان عيني الغزال ورد على استفهامها : **انها قصة عاطفية يا سيدتي ؟**

عاطفية ؟ يا لها من تسمية عربية ! وطفقت تحدثه عن التصوير وعن الصور التي صنعها لها .. وسألته عن الصورة التي اعجبته أكثر من غيرها في المجموعة كلها . كانت طول الوقت تشعر بشعور غارق بأنها تسيطر تماما على الموقف . كانت تعرف تماما ماذا يجب أن تفعل ، وفي أي وقت عليها أن تبتسم ، وفي أي وقت تصمت . كانت تعلم متى يجب أن تتساهل ومتى تتمنع . كانت هذه اللعبة تذكرها بأخرى كانت تجيدها وهي صغيرة عندما كانت تلبس قبعة والدتها وتقول لصديقاتها الصغيرات : تعالين نلعب لعبة السيدات ! »

كانت الآن تلعب لعبة جديدة ! ليست لعبة السيدات .. ولكن لعبة أخرى . لعبة ماذا ؟ لم تكن تعرف ؟ ولكنها على أي حال ليست السيدة التي عاشت طويلا في صالونات الشاي محاطة باشياء قديمة ونساء عجائز .

كان المصور لا يتكلم كثيرا وانما أصبح يستمع جيدا للمركيزة ويومىء برأسه علامة الموافقة . كانت تستمع الى كلامها المنطلق في شيء من الدهشة وهي تتحدث بذكاء وأهمية . أما هو فلم يكن سوى الشاهد الصامت لتلك السيدة التي تحولت الى مخلوقة ذكية ومرحة . ثم كان بينهما صمت . مجرد توقف لهذا الحديث ذي الاتجاه الواحد ، قطعه الفتى المتمدد وهو يسألها في رجاء حار :

ـ هل تسمحين لي بأن اطلب منك شيئا ؟

ـ بالتأكيد ..

ـ اريد أن اصورك هنا وحدك أمام هذا المنظر الخلاب ؟

وفكرت في ذهنها : **انه هو كل طلباته . يا له من فتى غر خجول !**

وردت على رجائه : **نعم كما تشاء . خذ لي من الصور ما ترغب . كم هو جميل أن اجلس هنا . وربما تمددت ايضا ..**

ورد عليها في ذكاء وسرعة : **الأميرة الجميلة النائمة في الأحراش ؟**

ولكنه شعر بأنه تجاوز حدود اللياقة ، فقال في صوت خفيض : « كم أنا آسف » . ثم أخذ آلته . وفي هذه المرة لم يسألها أن تتخذ جلسة معينة ، وانما صورها كما هي ، دون أن تغير موقفها . والتقط لها صورة وهي جالسة على الارض وفي فمها فرع قصير من النبات الاخضر ، وكان هو الذي ينتقل من هنا الى هناك بحثا عن زوايا الضوء لكي يصورها تارة صورة كاملة ، وتارة صورة جانبية . وبدأ النوم يداعب جفنيها . كانت الشمس قد تسللت اليها بينما كانت الفراشات تتراقص امامها فتثاءبت وتمددت على الخشائش . وجرى اليها الفتى وقد قدم لها سترته : « أتقبلين سترتي كمخدة ؟

وقبل أن تجيب عن سؤاله ، كان الشاب قد طوى سترته ووضعها تحت رأسها وازاحت عن السترة التي سبق أن احتفرتها . وركع الى جانبها وقد انشغل في اعداد آلته ونظرت اليه السيدة الراقدة وهي نصف مغمضة . ورأته يركع على ركبة قدمه السوية بينما مد قدمه القصيرة .. وتساءلت في نفسها اذا كانت قدمه تؤلمه . ونظرت الى حذائه ووجدت فردة القدم القصيرة تلمع بريق أحد أكثر من الفردة الاخرى . وتخيلته فجأة في الصباح وهو يلبس حذاءه وقد انحنى عليه لتلميعه طويلا ، وحطت فراشة على يدها . كما لو كانت في حالة انتظار ، وقد لمعت اجنحتها . ماذا تريد تلك الحشرة وتحتها فطارت .. غير انها عادت ثانية في تردد ولكن في عناد كان **بول** قد ترك آلته جانبا ، وظلت هي تنمر بنظراته تحيط بها . وقالت في نفسها اذا تحركت الآن ، سيفوم وينتهي كل شيء وظلت تفحص الحشرة اللامعة كانت تعلم انه

بعد فترة زمنية ، سوف يرفع الفتى نظره عنها وان الفراشة سوف تطير او ان الصمت سيكون رهيبا وتضطر ان تقطع بضحكة بلهاء سوف تهدم كل شيء . وفي أسف التفتت الى الفتى الذي كان يحدق فيها بعينين امتلأتا بالاعجاب والرهبة وبكل تبعية العبد الأمين لوسائله :

ـ لماذا لاتقبلني ؟

ودهشت لحظة لصدى كلماتها ، فقد أتتها بشعور من الرعب ، ولكنه لم يحجها ولم يتحرك ، واستمر في النظر اليها ، وأغلقت عينيها وطارت الفراشة .

وعندما اقترب المصور منها لم تشعر بكل ما كانت تنتظر حدوثه ، ولم تكن بينهما صحبة مفاجأة وعنيفة ، جاءها شعور بأن الفراشة عادت اليها وانها تداعبها بجناحيها والملمس الحريري ، وانها قد حطت على شفتيها في نعومة ورفق وعندما امتد عنها كان انسحابه في دوق وكياسة ، وتركها وحدها حتى لا يكون بينهما صمت ثقيل يضطر ان يملأه بحوار مصطنع .

وظلت المركيزة مستلقية على الحشائش وتفكيرها معلق فيما يمكن ان يحدث بعد هذه الالفة ، لم تكن تشعر بأي احساس بالعار أو الذنب ، كانت على العكس هادئة وصافية النفس ، كانت تفكر في عودتها الى القصر ودبرت كل شيء ، سوف تتركه يتبعدها بحيث لا يربط الناس اية فكرة بينها وبينه ، وقامت واصلحت هندامها واحمرت علبة الريمة واصبح الأحمر ، كانت الشمس أقل حرارة من ذي قبل وهبت من البحر ريح خفيفة منعشة ، كانت لا زالت تفكر في الأيام المقبلة ، اذا ظل الطقس جميلا استطاعت أن تحيي هنا كل يوم وفي مثل هذه الساعة ، ولن يدري أحد ان المس كلاي والطفلين يرتحن وقت القيلولة ، وعليها ان تمشي وحدها عبد الخصور والانصراف مثل اليوم ، وهناك عند قمة المرتفع يمكنها ان تلقي به في الخلاء ، فما زال امامها ثلاثة أسابيع ، أن أهم شيء الآن الا يسوء الجو أو يمطر ، وفي أثناء عودتها الى الصدق فكرت في احتمال أن الجو يسوء ، عندئذ سيكون عندها ملاذ في البدروم ، المدينة حقيرة وقد يكون من التهور أن تلقي به هناك ، وسيكون من الفاضح أن تلبس رداء يقيها من المطر وتخرج به تحت وابل المطر أو الريح ، أن تصرفا كهذا لافت للنظر .

وفي مساء ذلك اليوم كتب الى صديقتها « اليز »

« اني امرح هنا بعيدة عن زوجي ، ان الحياة رائع ، »

غير انها لم تعط اية تفاصيل عن مغامراتها ، رغم انها تحدثت عن الحشائش وعن الطقس الحار ، كانت تعرف أن اليز ، طالما لم تمدها بتفاصيل ، سوف تتخيل ان صديقتها رحل امريكي في أجازة قصيرة ، وفي اليوم التالي ارتدت ملابسها في أناقة زائدة ، وظلت فترة طويلة أمام المرآة لتختار الرداء المناسب .

ثم دهبت الى المدينة بصحبة المس كلاي وابنتيها ، كانت مشيتها الكسول وهي تلف قبعتها بأصابعها يوحي بمنظر جميل وهي بين ابنتها الفاتنتين ، كان الناس يلتفتون نحوها او حتى يمشون الطريق لهذا المركب الرائع ، ولما كان هذا اليوم هو يوم السوق الأسبوعية فقد ازدحمت الطرق والممرات بالذين أتوا من القرى القريبة وبالسياح الأجانب الذين أتوا الى المدينة للبحث عن هدايا تذكارية ، واشترت المركيزة بعض الاشياء الصغيرة واعطتها للمس كلاي ، ثم توجهت الى محل التصوير الذي يعلق لافتات عن منتجات كوداك كان المحل مزدحما بالمشترين وقد جاءوا اليه لشراء الهدايا ، وتشاغلت المركيزة في النظر الى بعض المناظر الطبيعية دون ان يجعلها انشاغلها تفقد صلتها بما يدور حولها ، كان الاخوان بالمحل المسيو **بول وأخته** ، بول يرتدي قميصا وردية في هذه المرة رأته المركيزة أنشع من قميصه الأزرق ، أما الأخت فكانت حمل دقة البائعات تلتقط بشال يسقط على كتفيها ، كان قد لمحها وهي تدخل المحل ، فخرج بسرعة من وراء الحاجز تاركا لأخته مهمة مناقشة الزبائن ، ووقف امامها في أدب وانكسار وهو يطلب أن تؤذي لها أية خدمة لم يكن في حديثه اي أثر للالفة ولا في عينيه أي دليل على التواطؤ ، وتأكدت من هذا الشعور وهي تنظر في عينيه نظرة مباشرة ثم اشركت المس كلاي والطفلين في الحديث عندما بأن طلبت من المرتبة أن تختار بعض المناظر لترسلها الى أهلها بانجلترا ، ثم انتقدت صور الاطفال وقالت انه لايمكنها أن ترسلها الى زوجها ، كان المصور يحد تصرفاتها طبيعية وهي تكلمها بلهجة خاصة ، واعتذر وهو يقول ان الصور لا تعبر فعلا عن جمال الأطفال ، لأنها تظلمهم ، وانه في

سبيل اداء واجبه سوف يأتي مرة ثانية الى الصدق للتصوير ، وبدون اتعاب بطيئة الحال . واستدار الناس ليروا المركيزة . كانت تشعر بوجودهم وهم يسحبون خطاها . وفي برود وعدم مبالاة طلبت من المصور أن يريها بعض الاشياء الصغيرة . وجرى لشاب بسرعة ليأتي بها وهو حريص على ارضائها . كان العملاء الآخرون يتململون وهم في انتظار الاخت التي طلبت بتنقل بقدمها القصيرة من أول الحاجز الى آخره دون أن تستطيع ارضاء جميع المشتريين ، ومن وقت لآخر ترمق بنظرة شزراء أخاها كأنه مسئول عن ينتهي ويأتي لمساعدتها . ورفت مشاعر المركيزة بعد أن تذوقت في لذة ذلك الشعور بالانتصار الكامل الذي جعل محيطها الى المحل يثير كل هذا الاضطراب فيه . وملأ قلبها الآن احساس بالراحة . وقالت للمصور : ـ « **سوف ادعوك ذات صباح لتصوير الاطفال ، والآن اريد ان اسدد حسابي ان امكن كلاي ستقوم بهذه المهمة ..** »

ثم خرجت في عدم اكتراث دون أن تجيبه . ولم تعر ملابسها قبل العداء فاحتفظت بنفس رداء الصباح كانت الشرفة اليوم مزدحمة وكانت تصل الى مسامعها همسات تؤكد لها بأن الاحاديث تدور حول جمالها وحول فتنتها وهي محاطة بالأولاد كان يحيل اليها ان مدير الصدق والخدم مندفعون الى خدمتها وقد سرهم فعلا أن تكون نزيلتهم بهذا الاغراء ، واصبحوا يخدمونها في كثير من المراعاة التي تقارب الترف . كان كل شيء حولها يساهم في ابراز فتنتها اردحام المكان ، رائحة الأطعمة التي تفتح الشهية ، عطور الأزهار ، كسل الناس ، وهدير الامواج القريبة . وعندما تركت المائدة هي وأولادها وصعدت الى غرفتها ، غمرا قلبها شعور بالسعادة المطلقة . انه شعور بالامتلاء والسرور الخامج كالذي يملأ المعدة الاولى وهي خارجة من حفلة المسرح بين طلبات الاعادة والتصفيق .

واتجهت المربية والأولاد الى غرفتهم ، بينما دلفت المركيزة الى غرفتها فغيرت رداءها وحذاءها ثم مشت على أطراف قدميها متجهة الى الطريق الصغير الصاعد نحو المرتفع . وكما توقعت وجدته هناك ينتظرها ولم يشر واحد منهما الى زيارة الصباح في المحل ولا الى سبب اللقاء الآن بعد الظهر . وكما لو كان اتفاقا صريحا ربط بينهما ، اتجها توا الى المحيا وجلسا . وظلت المركيزة تصف له الصحيح الذي عانت منه في اثناء وجبة الطعام وازدحام الناس في الشرفة وهمساتهم وأظهرت له سرورها بأن تستطيع ان تأتي هنا الى المحيا حيث الراحة والهدوء واعتدال الجو في هذا المرتفع ... كان يهز رأسه علامة الموافقة على مايسمع منها ويلتهمها بعينيه ، كأن روح العالم يتبثق من كلماتها . وكما حدث في اليوم السابق طلب منها في خشوع أن تسمح له بأن يصورها وقبلت بارتياح واستلقت على ظهرها وأغمضت عينيها .

وانسحب فكرة الزمن في ساعات بعض الظهر التي تبدو في الأيام الأخرى طويلة ومملة . وكما حدث في اليوم السابق ، أتت الحشرة الصغيرة تداعب جسدها ، بينما أطلت عليها أشعة الشمس . كانت تشعر مرة ثانية بلذة المغامرة وقد ملأ قلبها شعور بالغبطة لان هذه اللذة العابرة لم ترتبط فيها بأية عاطفة جارفة . كان عقلها وقلبها بعيدين عن المخاطرة . كان شعورها مثل احساسها عندما تذهب الى معهد التجميل في باريس وتطلب تدليك وجهها .

وفي هذه المرة انسحب الفتى من المحيا في أدب وصمت . ولما ابتعد بمسافة كافية من المحيا ، خرجت هي منه لتعود الى الصدق . كان خطوها عظيما لان الطقس استمر في تحسن . وكانت تقوم عقب وجبة العداء للشرفة اليومية بعد أن ترسل المربية الاولاد الى الراحة ، ولا تعود الا الساعة الرابعة والنصف لتناول الشاي . وفي بادىء الأمر عبرت المس كلاي عن اعجابها بسيدتها الشجاعة التي تتنزه في الشمس ، ثم رأت في نهاية الأمر ان الموضوع لا يعدو أن أصبح تمودا جديدا . واذا كانت المركيزة يحلو لها أن تتنزه في الحر القاسي ، فهذا شأنها وحدها ، ولكنها أحست بأن هذه الرحلات أصبحت تأتي بنعمه جديدة . لأن سيدتها اصبحت أقل عطرسة نحوها وأقل تعسفا نحو أولادها . هذا فضلا عن نسيانها للصداع الأليم الذي كان يلازمها في الأيام الأولى .

وانقضت خمسة عشر يوما ، شعرت بعدها المركيزة بأن اللذة الأولى لمغامرتها ظلت تتناقص ، لا بسبب يول لأنه لم يتغير ، وانما لأنها اعتادت على هذه المقابلة الرتيبة في كل يوم ، تماما مثل الدواء الجديد عندما يكون مفعوله في أول الامر سحريا ، وتتلاشى قوته بعد الاعتياد عليه وتكرار تناوله . وأدركت

المركبة بعربتها ، انها تحب ـ لكي تستعيد لذة الأيام الأولى ـ ان تعامل هذا المصور لبس كشاهد صامت لعواطفها المشبوبة ، او كحلاق مثلا ، وانما أن تعامله ككائن بشري له جسد ودم يمكن جرح مشاعره ، وبدأت في انتقاد ملابسه واشتكت من أن شعره طويل ، وملابسه غير مضبوطة ، ومحله لا يدار بطريقة صحيحة ، وان الورق الذي يطبع عليه الصور ليس من النوع الجيد .

وأصبحت تجد لذة قصوى في تتبع آثار هذا العناب على نفسيته ، ويحلو لها أن تلمس القلق مرتسما في عينيه وفي وجهه حين يصبح باهت اللون وفي التراخي الذي يحل عليه نتيجة القنوط وفتور الهمة ، كما لو أنه يدرك الى أي حد هو غير جدير بها . بل هو أقل كفاءة منها في كل شيء على الاطلاق . حينئذ كانت تشعر بالمتعة القديمة تملأ جوانحها .

وبدأت بعد ذلك في حصص ساعات اللقاء ، بأن تتعمد الحضور متأخرة لتجده في انتظارها وقد نهش القلق تفكيره . واذا لم يكن مزاجها قابلا للحب ، كانت تعامله في جفاء ولا تستجيب الى عناقه في يسر ، أو تصرفه بسرعة . وتراه عندئذ بعين خيالها وقد جر ساقه العرجاء خلفه وهو ذليل كئيب . وسحبت له أن يصورها وحدها . وكان هذا التصوير جزءا من لعبتها ، لأنها كانت تعلم مدى عذابه عندما يراها ساكنة لا تتحرك في فتنتها الطاغية وجمالها الأخاذ الذي يقارب الكمال . وأحيانا كانت تطلب اليه أن يحضر الى الفندق لتصويرها مع اولادها في الحديقة ، وتلتذ عندما ترى عيون المحبين ترمقها من الشرفة ومن كل مكان .

ثم جاء يوم اشتد فيه الهواء فلم تذهب الى موعد اللقاء ، وآثرت أن تقضي وقتها في قراءة رواية ، فشعرت بأن هذا التغيير قد جلب لها راحة وسعادة .

وفي اليوم التالي اعتدل الجو فقررت أن تذهب الى المحل . ولاول مرة منذ أن تعرف اليها ، بدا بعاتبها وقد اشتد صوته بسبب القلق : « لقد انتظرتك أمس .. ماذا حدث لك ؟

واستدارت نحوه في دهشة : « لم يكن الطقس جميلا ، فآثرت عدم الخروج .

ـ لقد خشيت أن يكون قد لحقك سوء ، أو تكون مريضة . وحاصرتني فكرة الحث على ولم أهدأ .. فكرت ان أتصل بالفندق للسؤال عنك .. لم أنم طول ليلتي .. اذ كنت مضطربا غاية الاضطراب !

وتبعته الى مكانهما المعهود وأثار كلامه بعض السرور في دخيلة نفسها ، ولكنها في ذات الوقت لم تنس كيف سمح لنفسه أن يوجه اليها اللوم . كان موقفه منه أشبه بتصرفها نحو خلاقها في باريس او عامل معهد التجميل عندما يلومها لأنها تأخرت عن الموعد الذي ضربته لها . وقالت له : « أنت تخطىء كثيرا اذا خيل اليك في يوم ما ان عملك التزاما على بأن آتي الى هنا في كل يوم . ان لدي اشياء أخرى كثيرة أقوم بها .. »

عندئذ اعتذر لها في تواضع ورجا منها أن تسامحه . وقال لها :

ـ لا يمكن أن تعلمي مدى ما تمثلينه بالنسبة لي . منذ اللحظة التي عرفتك فيها وحياتي تغيرت . أنا لا أعيش الا لتلك الدقائق التي أراك فيها .. »

وأعجبها خضوعه لها ـ لانه أعاد احترامه له . وأعجبها منه تعلقه بها كطفل صغير يتمسك بأمه . وعبثت بشعر رأسه وقد دفعتها الى ذلك عاطفة الأمومة نحوه . يالله من طفل مسكين ، ذلك الذي قطع كل هذا الطريق الصاعد بحر قدميه خلفه ليستطرها في هذا اليوم العاصف ويظل وحده ساعات يأكلها في قلق تحت هواء قارس . وفكرت لحظة في الخطاب الذي سوف ترسله الى صديقتها البر : كم أخشى أن أكون خطمت قلب بول ـ انه أحد مغامراتي ماحد الحد . ولكن ماذا أفعل يا صديقتي ؟ كل شيء لا بد له من آخر . لا يمكنني بطبيعة الحال ان اقلب حياتي رأسا على عقب من أجله . وأخيرا انه رجل .. وسوف ينسى ! » .

وسوف تتخيل البر هذا الرجل أمريكيا أشقر الشعر وله جسم رياضي .. وسوف تراه يودعها بحرارة ثم يركب سيارته من طراز باكار وهي ياسه يتجه بها في سرعة مخيفة نحو المجهول !

وبعد أن صمتا الى صدره في ذلك اليوم لم ينصرف ، وانما ظل جالسا على الحشائش وقد ثبت نظره على الصخور العاتية التي تطل على البحر . وسمعته يقول في هدوء :

ـ « لقد اتخذت قرارا بالنسبة للمستقبل » .

وشعرت المركيزة بمولد مأساة بدأت تتكون أمامها . هل كان يريد انه ينوى الانتحار ؟ ولكن هذا شيء رهيب حقا ! بطبيعة الحال ، عليه مراعاة لشعورها أن ينتظر حتى تنتهي اقامتها في الضيعة وتكون قد عادت الى قصرها !

وسألته في صوت يغص حنانا : « وماذا قررت ؟ »

ـ قررت أن أترك المحل باسم أختي . انها نشيطة . أما أنا فسوف أتبعك أينما ذهبت . سواء عدت الى باريس أو الى الريف . سأكون دائما بالقرب منك وآتي اليك كلما رغبت في رؤيتي . »

وتطلعت المركيزة ريثما أحست بأن قلبها على وشك التوقف . وبعد لحظة رهيبة قالت : « ولكن هذا مستحيل . ومن أين ستعيش ؟ »

وقال لها : أنا لست أنوفا ولا متشامخا . ان القليل من عطائك يكفيني .. وحاجاتي قليلة في الحياة . اني لا أستطيع أن أعيش بدونك . والحل الوحيد الذي ارتأيته هو أن اتبعك حيث تذهبين والى الأبد . سوف أستأجر غرفة في باريس بالقرب من قصرك . أو في الأرياف ايضا حتى أكون على مقربة منك . ولن يصدم وسيلة لملتقى .. عندما يكون الحب قويا كالذي يربطنا بعض ، فانه لا يصطدم العقبات . »

كان يعبر عن نفسه بطريقته الخاشعة ، غير أن حماسه في هذه الكلمات كان رائعا لم تتوقعه . وشعرت بأنها فعلا امام مأساة جاء وقتها غير مناسب . فأمامها الآن شخص مستعد لأن يترك كل شيء خلفه لكي تتبعها الى باريس وحتى الى الريف حيث تعيش بضعة شهور في السنة .

وقالت في غضب وهي تقوم : ولكنك مجنون ! بمجرد أن أترك هذا المصيف لن يمكنني أن أراك ثانية ، لأني لن أكون حرة . ألا تعلم حتى الآن مركزي في المجتمع ، ألا تدرك معنى هذا الحب بالنسبة لي ؟

وهز رأسه . كان الحزن مرتسما على وجهه وقال في اصرار بالغ : لقد فكرت في كل التفاصيل . وأنا بطبيعتي حصول وحذر ، فلن تخافي شيئا . فكرت في أن تستخدميني عندك كخادم . فلا يهمني مطلقا أن أعمل خادما ، لأني لست متشامخا كما سبق أن أخبرتك . وهناك يمكننا أن نستمر في حبنا . ان زوجك رجل كثير الشواغل وهو يغيب معظم ساعات النهار . والبنتان تخرجان كل يوم بعد الظهر مع المربية . »

وصدمت المركيزة صدمة عاتية الى درجة انها لم تتمكن من الرد على كلامه . لم تكن تستطيع أن تتخيل شيئا رهيبا مثل وجود هذا الشخص الأعرج عندها . وتصورته وهو يذهب ويجيء حاملا سائقه خلفه في بطء مزعج .. ثم تخيلته وقد أتاها في وقت الراحة يقرع على بابها في خشوع في كل يوم بعد الظهر ..

الهذا الدرك سوف تنحط ؟ يا له من مخلوق تعس .. ان تراه في منزلها يراقبها ويتابعها بعينيه اللتين تفيضان بالضراعة والاشتياق .

وفي لهجة حاسمة قالت له : اني أخشى أن اقول لك بأن ما تقترحه علي لا يمكنني قبوله . كما أني لن أراك بعد انصرافي من المصيف . كان يجب أن تعرف ذلك بحصافتك . كانت تلك الساعات التي قضيتها معك لديذة .. لكنها انصرمت لأن أحاديثنا قاربت الانتهاء . وبعد أيام سوف يأتي زوجي ليأخذني أنا والاولاد ونعود . هذا كل ما عندي لأقوله لك !

وتأكدت لحظتها في انهاء الحديث قامت وأصلحت ملابسها ومرت بالمشط في شعرها ، ثم أخرجت حافظة نقودها وفتحتها ، وأخرجت منها عدة ورقات من فئة العشرة آلاف فرنك وقدمتها اليه قائلة : « خذ هذه الورقات واصطنع بها محلك ، واشتر هدية لشقيقتك . وتذكر أني سوف أتذكرك دائما بحنان . »

ولدهشتها البالغة ، رأت وجهه يبهت تماما وشفتاه ترتجفان . وسمعته يقول لها : « لا . لن أخذ هذه النقود . انها فدية منك أن تعرضي علي نقودا . »

وفجأة انهمر يبكي بحرارة وقد دفن وجهه بين يديه . ونظرت المركيزة اليه في اضطراب ظاهر . كانت لا تدري هل تتركه أو تظل معه . كانت تخشى أن تعزيه أزمة عصبية فيحطم ما أمامه . وداخلها شعور بالأسف من أجله ، وخاصة من أجلها هي ، لأنه فعل فعلا سخيفا أمامها قرب فراقهما . ان رجلا

غيره لم يكن ليسمح لنفسه بأن يتصرف هذا التصرف الصبياني . والخجل الذي بدا لها قبل ذلك رائعا اصبح مقتا الآن . وحتى قميصه الملطخ على عصى أصبح حقيرا . وصاحت به وقد اهتاجت أعصابها :

ـ بالله اضبط أعصابك !

وكف عن البكاء ورفع يديه فكفكفا وجهه الذي بللته الدموع . ثم نظر اليها وهو يرتجف وقد عبرت عيناه الصينان عن قمة اليأس : « لقد انخدعت فيك . والآن اعلم تماما من أنت . انت امرأة سيئة .. انك تتسلين بتحطيم حياة رجال ابرياء مثلي .. لسوف أروي كل الحقيقة لزوجك ..

ولم تجب المركيزة . كانت تظن انه يهذي ويقول مالا يفهم ..

وقال لها المصور : « هذا ما سوف أفعله . عندما يحضر زوجك الى الصدق سوف اقابله واحكي له كل شيء .. وسوف أريه الصور التي صورتها لك هنا .. واثبت له انك كنت تخدعينه .. وسوف يتأكد انك امرأة سيئة . وسوف يصدقني .. أما انا فلم أعد احتي شيئا . لأني لن أصدق بعد الآن قدر عدد اللحظة التي أنا فيها . ولكن أؤكد لك ان حياتك أيضا سوف تتحطم .. وجميع الناس سوف يعرفون الحقيقة .. سوف أقول كل شيء للمربية الانجليزية ولمدير الصدق وسوف يعلم الجميع كيف كنت تقضين ساعات الراحة بعد الظهر .. »

وتناول سترته وعلق آلته على كتفه .. واستولى الفزع على المركيزة . وتساءلت اذا كان سوف ينفذ تهديده لها . وهل ينوي حقا انتظار ادوار في بهو الصدق .

وقاطعته : اسمع . انا سوف نعقد اتفاقا ..

ولكنه تجاهل صراعتها . كان وجهه أصفر اللون وبه غريمة حمارة . ووقف على حافة المنحدر لياخذ عصاه . وفي تلك اللحظة الخامسة استولى على المركيزة صغور حارف لم تستطع الافلات منه . فاقتربت منه وقد مدت يديها نحوه ، ثم دفعته بقوة هائلة . لم يصرخ الفتى وهو يهوي في الفضاء . وركعت المركيزة على ركبتيها ، ولم تستطع الحركة لفترة من الوقت . ثم شعرت بالعرق ينساقط من جبينها ، ومانت حركة يديها . ونظرت من خلال الحشائش وتاكدت أن احدا لم يرها . كانت وحدها في المرتفع كالمعتاد . وانقضت خمس دقائق طويلة وقامت تنظر الى البحر . كان البحر هائجا والأمواج تتعالى وتضرب الصخور في عنف بالغ . ولم تشاهد جثة الفتى على البر لأن حافة السفح لا انحدار فيها ، فهي تسقط عمودية تقريبا على البحر . ولمت المركيزة أشياءها وانصرفت . كانت ركبتاها عاجزتين عن حملها لأنهما كانتا ترتجفان واضطرت الى الانتظار . ثم نظرت الى ساعتها تحت ايحاء الغريزة ورأت العقارب تدلان على النصف بعد الثالثة . واذا سألها أحد عن استخدام وقتها ستقول : لقد كنت هناك فعلا في نحو الثالثة والنصف ولكني لم أسمع شيئا . هذه هي الحقيقة . لأنها في الحقيقة لم تسمع شيئا على الاطلاق . وأخرجت مرآة صغيرة من حقيبتها ودهشت لشحوبها البادي وارادت أن تتزين في اتقان حشية ان تكشف المس كلاي سرها . فمسحت وجهها بطبقة من البودرة ثم مرت على شفتيها بالاحمر . ولكن هذا اللون الاحمر جعلها تبدو كمسخ السيرك لقلة استخدامه عليها من قبل شحوبها . وفكرت مليا في الامر وقالت : ليس أحسن الآن من الذهاب الى الشاطيء وأخلع ملابسي هناك في الكابين ثم استحم . وبعد ذلك أعود الى الصدق ورأسي ووجهي مبتلان . واذا سألني أحد قلت انني كنت في البحر . وهذا أيضا صدق ! »

واستمرت في المشي حتى اذا ما بلغت الشاطيء شعرت بالتعب الشديد كانها مريضة قامت من فراشها . كانت على وشك الانهيار ولكنها تمالكت نفسها . كل ما كانت تفكر فيه الآن هو أن تعود الى الصدق وتلجأ الى غرفتها وتعلق مصراعي نافذتها وتظل في الظلام فترة طويلة بعد أن تغمض عينيها . ولكنها لم تجد مفرا من الاستمرار في الدور الذي رسمته . ودخلت الكابينة وخلعت ملابسها بسرعة ثم ذهبت الى الماء بعد أن تخلصت من حذائها الخفيف المصنوع من ألياف الحبال . وبينما كانت تسبح نظرت الى الناس حولها واهتمت باشكالهم . ربما شهد بعضهم وقال : « نعم لقد رأيت سيدة تاتي من المرتفع ! »

وبدأ الماء يبرد ولكنها استمرت في السباحة الى ان صاح طفل كان يلعب مع كلبه في الماء بأنه شاهد شيئا لونه أسود في الماء ، فاستولى عليها فزع قاتل حتى كادت تهوي الى القاع . كان يخيل اليها انها لو استمرت في السباحة لاصطدمت بجثة الغريق . وجلست تالقة من كابينها وقد جاءت رأسها بين يديها .

كان زوجها يتوى الحضور بعد خمسة أيام ، ولكنها اتصلت به بالتليفون ورجته أن يحضر قبل موعده . « ان الطقس حقا جميل ، ولكني مللت المكان ، لان الازدحام زاد والضجيج كثير ، والخدمة أصبحت غير ممتازة » . وافهمت زوجها أنها حريصة على العودة بسرعة الى منزلها لان الحديقة لا بد قد ازدهرت الآن وأصبحت رائعة !

وأسف زوجها لقرارها المفاجيء ، وطلب اليها أن تمكث ثلاثة أيام لأنه مرتبط بمشاغل كثيرة ، خاصة وانه يجب عليه أن يزور باريس لانهاء مسألة في غاية الأهمية ثم وعدها بالحضور يوم الخميس القادم ويسافران في نفس اليوم عقب تناول طعام العداء . وسألها زوجها « **كنت آمل أن أقضي معكم حتى نهاية الاسبوع حتى أتمكن من الاستفادة بحمامات البحر ثم نعود يوم الاثنين .. ألا يمكن حجز الغرف حتى هذا اليوم ؟** » .

لم يكن في الامكان حجز الغرف لأنها أجرت مدير الفندق بقرارها وقد أجر الغرف لزلاء جدد . كان الفندق مليئا واكدت المركيزة لزوجها بأن الاقامة لن تعجبه ، خاصة في فترة نهاية الاسبوع ، وتشددت في التأكيد عليه كي يحضر يوم الخميس للعودة بعد الظهر .

ووضعت المركيزة سماعة التليفون ثم دهست لتتمدد على الكرسي الطويل في الشرفة . وأمسكت كتابا وحاولت القراءة ، ولكن ذهنها كان مشغولا عن موضوع الكتاب . وكانت آذانها تنصت لكل الاصوات الخارجية . كانت تتوقع أن يدق التليفون في غرفتها ويتأسف لها مدير الفندق وهو يدعوها أن تحضر الى مكتبه على وجه السرعة لأن رئيس الشرطة موجود . كان يبدو على رجال الشرطة انهم يتطرون مساعدتها في حل لغز غامض ! ولكن التليفون لم يدق وجرت الحياة في طريقها المعتاد . ودهمت لتناول العشاء كالمعتاد وسقت طريقها كالمعتاد بين رجام المحيص . كانت تجهد نفسها لتناول الاكل . كانت المأكولات لهة مذاق الرماد . وادعت أنها مصابة ببرد خفيف . وفي المساء عندما أغلقت عينيها ، كان النوم يبتعد عنها . كانت تحس بأيد تضغط على ظهرها في عنف وتحاول أن تلقي بها في المجهول . ونفس السهولة التي دهمت بها الصور ، كانت تهوى هي أيضا في فضاء مفزع يشدها اليه .

وفي اليوم الثاني ، وهي جالسة في شرفتها ، كانت عيناها تمتدان دائما نحو المرتفع البعيد كانها تنتظر أن يأتيها من هناك مفاجأة . وحدث أن طلعت منها المس كلاي مرتين أن تذهب الى البلدة لشراء بعض الأشياء الصغيرة ، ولكن المركيزة كانت تجد سببا تثنيها عن عزمها . أما هي فلم تترك الفندق ، لان أقل تفكير في الشاطيء كان يعطيها شعورا بالألم والتمزق .

وقالت للمس كلاي « اني سأكون على ما يرام عندما يرايلني هذا البرد الخفيف »

واستمرت مستلقية في الشرفة تقلب المجلات دانها لاكثر من عشر مرات .

وفي صباح اليوم الثالث جاءت البنتان ومعهما أعلام ملونة تلعبان بها « انظري يا أماه . اننا سنغرس هذه الأعلام الجميلة على قصور الرمال عصر اليوم .

ـ ومن أين أتيتما بها ؟

ـ اشترتها لنا المس كلاي من السوق اليوم . لقد ذهبنا الى هناك بدلا من فضاء وقفنا في الحديقة لتحضر الصور الأخيرة .

وشعرت المركيزة بصدمة قاسية مفاجئة ـ غير انها ظلت في مكانها جامدة ـ وسمعت الأولاد يتحدثون مع المس كلاي في غرفة الحمام . وبعد دقائق حضرت المربية وأغلقت الباب وراءها ـ وحاولت المركيزة أن ترفع رأسها نحوها .. كانت قسمات المس كلاي تفيض بالأسى وهي تقول

ـ يا سيدتي لقد حدث شيء مؤلم جدا . لم اشأ ان احدثك به أمام الأولاد .. انه عن المسيو بول ..

ـ المسيو بول ؟

كان صوتها يسم عن هدوء عجيب ، وقد أرادت أن تكون دهشتها معبرة عن الاهتمام اللائق بأحد من أمثاله ـ

ـ ذهبت اليوم لاحضار الصور ولكني وجدت المحل مغلقا .. وتوجهت الى الصيدلية التي تقع جانبه أسأل اذا كانوا يعلمون عن سبب اغلاقه . فقيل لي ان الآنسة بول ما زالت مضطربة كل الاضطراب لمة

حدث . ولما استفهمت علمت أن حادثا فظيعا لحق بالمسيو بول ، وان الصيادين وجدوا جثته على بعد ثلاثة كيلومترات من الشاطىء . .

وشحب وجه المس كلاى وهى تروى القصة . كانت مضطربة كل الاضطراب بعكس المركيزة التى اكتسبت اتزانا تحسد عليه ، وقالت تعلق على ما حدث

ـ كم هو رهيب هذا الحادث ؟ هل يعلم احد كيف وقع الحادث ؟ »

ـ لا . لم أشأ ان أسأل فى الصيدلية لأن الاولاد كانوا معى . غير أنى أظن انهم وجدوا الجثة فى حالة تعفن ، لأنه اصطدم فى الصخور . ترى ماذا سوف تفعل الأخت بنونه ؟ »

ورفعت المركيزة أصبعها لتطلب الصمت لان الاولاد اقتحموا الغرفة .

ودهش الجميع لتناول الغداء . أكلت المركيزة بشهية لم تعرفها فى الايام الثلاثة المنصرمة . وتساءلت فى نفسها عن السبب الذى أعاد لها شهيتها . ألانهم وجدوا الجثة ؟ وبعد الغداء طلبت من المس كلاى أن تذهب الى مدير الفندق لتسأله عن تفاصيل الحادث الأليم ولتخبره بأن سيدتها المركيزة تألمت جد الألم لما حدث . وبينما كانت المس كلاى فى طريقها الى الادارة ، سحبت المركيزة الطفلتين وصعدن جميعا الى غرفهن .

وبعد لحظات قصار دق التليفون فى غرفتها . انه الرنين الذى ترقبه بدون جدوى منذ ثلاثة أيام . ودق قلبها بسرعة .. ثم رفعت السماعة . كان المدير هو المتحدث وأفادها بأن المس كلاى حضرت عندهم لتقدم أسفها على ما حدث . وأفادها بأنه كان يعلم بالحادث منذ الامس غير انه لم يشأ أن يزعجها ، اذ ان من قلة اللباقة أن يتحدث المرء عن الغرق أمام المصطافين . والظاهر من هذا الحادث العابر أن العقيد انزلق من المرتفع ، فقد عرف عنه انه يحب جدا التصوير فى هذه المنطقة . وبطبيعة الحال ، انزلق بسرعة نظرا لعامة قدمه . وكم حذرته أخته أن يكون يقظا .. انه لأمر مؤسف حقا . لانه ظريف ومحبوب من جميع الناس ولم يكن له اعداء .. وهو فضلا أصيل على طريقته . وسألها اذا كانت مسرورة من الصور التى أخذها لها ولطفلتيها . ان المدير سوف يبلغ أخت العقيد عن الشعور الأسيف الذى أحست به المركيزة نحوه . وأشار عليها بارسال باقة من الزهور لتخفيف الصدمة على الأخت المسكينة .. غير أن أحدا لا يعرف حتى الآن متى سيكون الدفن ..

وبعد انتهاء المحادثة ، استدعت المركيزة المس كلاى وأمرتها بأن تستأجر سيارة أجرة وتذهب توا الى محل بائع زهور وتطلب هناك أزهارا بيضاء من نوع الزنابق اذا وجدت ، دون أن تتردد لحظة أمام المصاريف . وكانت المركيزة بعد ذلك تنوى أن تكتب كلمة عزاء على بطاقة ترفقها بالازهار .

وبعد دقائق اصطحبت المركيزة ابنتيها للذهاب الى الشاطىء . وسألت « سيلست » والدتها « الست مركومة الآن ؟

ـ لا يا حبيبتى . لقد ذهب البرد واستطيع الآن أن أستحم ..

كانت المركيزة تفكر فى روحها التى تنتظر حضورها فى العد .. وتشعر من جراء ذلك بسعادة جديدة لأنها سوف تغادر هذا المكان الى الأبد .. سوف تترك الفندق .. وسوف لا ترى بعد ذلك منظر المرتفع ولا البلدة .. وسوف تنسى تلك الاجازة وتمحيها من ذاكرتها تماما وكأن شيئا لم يكن . وقالت تحدث نفسها « عندما أموت سوف يعاقبنى الله . ولا مفر من تجاهل الحقيقة . أنا قاتلة ما فى ذلك أدنى شك . ولكنى من الآن فصاعدا أعاهد الله أن أكون روحة مخلصة لأدوار ، وأما رءوفة بأولادى . وسأحاول جاهدة تكفيرا لذنبى أن أكون طيبة مع جميع أقربائى وخدمى وجميع الناس »

ولأول مرة منذ أربعة أيام استغرقت المركيزة فى النوم العميق . وفى صباح اليوم التالى ، حضر روحها مبكرا وكانت مسرورة كل السرور لحضوره الى درجة أنها هبت من سريرها تحتضنه بشغف . وتأثر روحها بهذا الاستقبال الحار وقال لها مستفهما

ـ يبدو أنى غبت كثيرا على روحتى الصغيرة !

ـ كم شعرت ببعدك ! ولهذا السبب تحدثت اليك بالتليفون لأدعوك .

ـ هل تريدين فعلا السفر بعد وجبة الظهر ..

ـ نعم . وبسرعة .. فلم أعد أطيق هذا المكان اطلاقا . ان كل الحقائب جاهزة ولم يبق سوى أن أضع فيها أدوات زينتي .

كانت تحدث زوجها وهي تمر في الغرفة لترفع منها كل الاشياء التي تخصها ، ذلك لان الخادم سوف يأتي بعد قليل لوضع الملابات الجديدة تمهيدا لاستقبال نزلاء جدد .

وفجأة سألت زوجها : ألا يمكن أن نرحل قبل الظهر ؟ ونتغدى في محل آخر .. في اي مكان على الطريق ، فليس أسخف من أن يتناول المرء وجبة في فندق بعد أن يكون قد سدد حسابه .

ورد زوجها : بالتأكيد يا عزيزتي !

كان الزوج مسرورا من حسن استقباله الى درجة أنه كان يتلهف لان يلبي كل طلباتها .. إيتها المسكينة ، لقد عانيت كثيرا في عيشتي ! انها لتستحق تعويضا لهذا الاهمال !

كانت المركيزة ترسم شفتيها بالاحمر حين دق جرس التليفون ، فطلبت من زوجها أن يرد عليه ، اذ كانت تظن أن أحد الخدم يسأل عن الحقائب .

وتقدم المركيز من التليفون وبعد لحظات قال لزوجته :

ـ ان المحادثة لك يا عزيزتي . ان سيدة تنتظرك في البهو . اسمها الآنسة بول .. جاءت لتشكرك على الزهور المرسلة منك .. .

ولم تجب المركيزة بسرعة . وعندما رآها زوجها ، خيل اليه أن أحمر الشفايف الذي وضعته لايناسبها مطلقا . كان يعطيها شكل امرأة مجبور لها نظرة وحشية ! كان يظن انها غيرت اللون المعتاد . وفكر في أن يقول لها انه ليس ملائما لها على الاطلاق .. وسألها ، بماذا يجب ان أرد عليها ؟ أراك غير راغبة في محادثتها .. فهل انزل أنا بدلا منك واصرفها ؟

ولكن المركيزة ترددت في اضطراب ، ثم قالت :

ـ لا . لا .. افضل أن انزل اليها . لقد حدث لها شيء رهيب . انها تشارك أحاها في محل صغير للتصوير ، وقد تصورنا صناك صورا لي وللأولاد . ثم حدث أن مات أخوها غريقا . فارسلت لها زهورا .

ـ كم هو جميل منك .. انها للفتة رقيقة منك .. ولكن هل من الضروري أن تضيعي وقتك .. خاصة وقد انتهينا تقريبا .

ـ اذن قل هذا لعامل التليفون ..

واستدار المركيز نحو التليفون وتبادل مع المتحدث كلمات قليلة ، ثم عاد يقول لزوجته : **انها تصر.. انها تقول ان معها صورا تريد ان تسلمها اليك شخصيا » .**

واجتاح المركيزة شعور بالرعب القاتل شل حركتها .. وبعد برهة قالت : **صورا .. اية صـــور ؟ لقد سددت كل ما علي من نقود .. واني اجهل ماذا تريد تلك السيدة » .**

وهز المركيز كتفيه وهو يسأل : **ثم ارد عليها .. يخيل الى انها تبكي بحرارة ..**

وأنست المركيزة ريبتها ، ثم قالت : **اذن قل لها أن تحضر الى هنا .. ولكن اذكر لها انا سوف نترك الفندق بعد خمس دقائق على الأكثر .. وفي هذه الفترة أرجوك ان تأخذ الأولاد وتسبقني الى السيارة . خذ ايضا المس كلاي معك .. بينما انا اقابل تلك السيدة وحدي . »**

وعندما ترك الزوج الغرفة ، نظرت حولها ولم تر سوى حقيبة يدها وروجها من القمار ، وسمعت قرعا على الباب . فأمرت الضيف بالدخول .

ودخلت الآنسة بول ـ كان وجهها منتفخا من البكاء وعيناها تدمعان بحرارة . ترددت في الدخول .. ثم خطت الى الأمام بقدمها العرجاء ـ كانت تتلوى في مشيتها ، كما لو أن كل خطوه هي محاولة أليمة .

ـ سيدتي المركيزة .. سيدتي ..

ولكنها لم تكمل كلامها ، لأن دموعها انهمرت مدرارا .

ورد عليها رفق : **« ارجوك .. كم انا آسفة لما حدث لك . .**

واخرجت الآنسة بول منديلها وقربته من أنفها ، وقالت :

ـ انه كان عندي كل شيء . كم كان طيبا بالنسبة الي .. والآن كيف سأعيش ؟ وماذا سأصبح في المستقبل ؟

ـ هل لك اهل ؟

ـ انهم فقراء لا يملكون شروى نقير . انهم اناس محطمون .. لا يمكن ان اسالهم المعونة . والآن وانا وحدى . بدون اخى . لن اتمكن مطلقا من ادارة المحل . فليست صحتى على ما يرام ، لانى كنت مريضة على الدوام . وصحتى متهافتة » .

وقتشت المركيزه فى حقيبتها واخرجت ورقتين من فئة العشرة آلاف فرنك .. وقدمتهـا اليهـا وهى تقول :

ـ « انى اعرف أن هذا المبلغ ليس كبيرا . ولكنه سوف يساعدك لفترة من الزمن . أخشى الا تكون لزوجى صلات كثيرة فى هذه المنطقه .. ولكنى على كل حال سوف اسأله ، فربما استطاع أن يمد اليك يد المساعدة . »

ودست الآنسة بول أوراق النقد فى حقيبتها دون ان تشكر المركيزة ! وقالت : « هذا المبلغ سوف يكفينى حتى نهاية الشهر وسيساعدنى الآن لتغطية مصاريف الجنازة » .

ثم فتحت حقيبتها وأخرجت منها ثلاث صور وقالت :

ـ « عندى اخرى مثلها فى المحل .. لقد ظننت انك نسيتها وانت فى عجلة سفرك .. لقد وجدتها ضمن حاجيات اخى فى البدروم حيث كان يطبعها » .

ومدت الصور الى المركيزه ـ واشعر بدنها . نعم لقد نسيتها بغير شك أو نسيت بالتاكيد أنهـا موجودة . كانت الصور تمثلها وهى مستلقيه على ظهرها وقد أراحت رأسها على سترته الفتى .. انه بلا شك داس على زر الآلة دون أن تعلم . فظهرت صورها طبيعية . الامر الذى زاد من قسوتها وهى فى شـدة السعادة الوليدة . كان قد أعطاها بعض الصور . ولكن هذه الثلاث ـ لم ترها على الاطلاق !

واخذت الصور ودستها فى حقيبتها . ثم سألتها فى صوت جاف : أتقولين ان عندك غيرها ؟

ـ نعم يا سيدتى المركيزة .

وحاولت المركيزة ان تنظر الى عينى السيدة . كانتا مليئتين بالدموع ـ ولكن ليس من شك أن لهما طريقا فهمت مغزاه . وسألتها المركيزة : « والآن ماذا تريدين منى ؟

والقت الآنسة بول نظرة دائرية على الغرفة الفارغة الآن من متاع المركيزة .. ورات المناضد ملقاة على الارض . والملايات قد رفعت .. ثم قالت :

ـ « لقد فقدت أخى .. فضاع معنى حياتى . ان سيدتى المركيزة قد أمضت اجازة سعيدة وهى الآن على وشك العودة الى منزلها . انى متاكدة ان سيدتى لا ترغب مطلقا أن يرى زوجها او اى فرد من عائلتها تلك الصور . أليس كذلك ؟

ـ بالتاكيد لا ارغب . حتى أنا .. فانى لا ارغب مطلقا أن اراها .

ـ على اية حال ، ان مبلغ عشرين الف فرنك ليس شيئا بالمرة الى جانب الاجازة التى استمتعت بهـا هنا ياسيدتى المركيزة ! .

وفتحت المركيزه حقيبتهـا مرة ثانية ، كان بها ورقتان من فئـة الالف فرنك وتضـع ورقتان من فئة المائه ..

ـ « هذا كل ما تبقى معى .. ويمكنك أن تاخذيه . »

وتمخطت السيدة . ثم قالت : « الافضل أن نبرم اتفاقا لأطول مدة . والآن وقد ذهب أخى ، فان المستقبل بالنسبة الى فى غاية التعاسة . ولماذا اظل هنا فى هذا المكان الذى يعيد الى ذكريات اليمه . قبل وفاته بيوم واحد . ذهب الى المرتفع . وعاد ليلتها وهو متالم . كنت اعلم ان شيئا ما قد آلمه اشد الالم ولكنى لم اسأله . ربما اخذته صديقة له وعدها ولم تحضر لمقابلته مثلا . وفى اليوم التالى ، ذهب الى هناك ولم يعد . وابلغت الشرطه ، وبعد ثلاثة ايام وجـدوا جثته . ولم اتكلم ، تاركة للشرطة أن تتحدث عن احتمال فكرة الانتحار ـ ولكنى اعلم طباع أخى حيد المعرفة . واعرف أن قلبه رقيق غاية الرقه . واذا كان مقدر على أن اتعذب ، فلن يبقى امامى الا أن اذهب الى رجال الشرطة وأوحى اليهم بأن أخى كان صحية حب يائس وأترك حاجياته الخاصة ليفتشوا فيها عن الدليل . »

وحمد لسان المركيزة من الفرح ، خاصة وقد سمعت خطى زوجها تضرب من الباب ، وصاح بها زوجها :

ـ ألا تحضرين يا عزيزتى ؟ ان السيارة على وشك القيام ، والأطفال قلقون ..

وانحنى يحيى الأنسة بول ، وقالت الزوجة : « سوف اكتب اليك لأعطيك عنوانى فى باريس وفى الريف .. »

ثم فتحت حقيبتها لتبحث عن بطاقة .

ـ ارجو ان تتسلمى اخبارا منى قبل اسبوعين .

ـ ربما قبل ذلك يا سيدتى المركيزة . واذا تركت البلدة هنا ، فسوف اسمح لنفسى ان ازورك لأسأل عنك وارى الأولاد والمربية الانجليزية . فان عندى أصدقاء يسكنون بالقرب منك . نعم لى اصدقاء فى باريس ، كم احلم بزيارة العاصمة .

والتفتت المركيزة نحو زوجها وقد ارتسمت ابتسامة ظفر على شفتيها : **لقد قلت للآنسة بول انه يمكنها ان يطلب معاونتها اذا ارادت ..**

ـ بالتأكيد ! .. كم تألمت عندما علمت بالمصيبة التى حلت بها ، ان مدير الفندق روى لى تفاصيل الحادث المروع .

وانحنت الآنسة بول علامة الاحترام ، ثم قالت : **يا سيدى المركيز ، انه كان كل شىء بالنسبة الى . ان سيدتى المركيزة تعلم ما كان يمثله بالنسبة لى . وكم هو معز لى أن أعلم ، انه مهما حدث لى ، فانه يمكنى أن اكتب اليها ، وانها سوف تجيب على رسائلى .** وهكذا سوف تخف عزلتى ، ان الحياة قاسية جدا لمن كانوا وحدهم فى العالم . هل تسمح لى سيدتى المركيزة أن أتمنى لها سفرا سعيدا ؟ وانى آمل ان تكون قد احتفظت من المصيف بتذكار جميل ، غير مشوب بأقل ندم .

ثم انحنت وانسحبت من الغرفة وهى تعرج ..

وقال المركيز فى تأثر : يا لها من سيدة مسكينة ، خاصة عاهتها هذه ـ ان مدير الفندق أخبرنى بأن أخاها كان يعرج أيضا .

ـ نعم ..

والتقت حقيبتها ثم دهست لتأخذ قفازها ومظلتها من فوق المدفأة . وقال الزوج :

ـ يا له من أمر غريب .. ان هذا العرج يراودنى ..

ثم توقف لانتظار المصعد وقال : **هل تعرفين ريشار دى بولاى ؟** انه صديق قديم لى .. لقد كان يشكو من نفس تلك العاهة . ورغم ذلك لم تمنع تلك العاهة فتاة جميلة أن تقع فى غرامه ، وتزوجها ثم انجبا طفلا .. صار أعرج مثل أبيه .. انها نقائص تسرى فى الدم ..

ودخلا فى المصعد وأغلقت الأبواب خلفهما . وقال الزوج : هل أنت متأكدة من أن فى استطاعتك السفر الآن ؟ .. انك تبدين شاحبة جدا ، وأمامنا طريق طويل .

ـ ولكنى افضل الذهاب ..

كان طاقم الفندق جميعه يستطر فى الممر ، المدير وموظف الاستقبال ، والبواب ، والمترددون ، وقال لها المدير :

ـ آمل ان سيدتى المركيزة تكون قد سرت من الاقامة هنا .. وتأكدى انك سوف تستقبلين دائما بترحاب .. لقد كانت متعتنا ان نقوم بخدمتك .. توداعا ووداعا ..

وصعدت المركيزة الى السيارة بجانب زوجها ، وجرت السيارة على الطريق المرصوف الى أن وصلت الى الطريق الرئيسى ، ووراءها امتدت مساحات الرمل تختفى ، ومن بعده البحر ، ومن بعده التل المرتفع . ولم يبق أمامها سوى طريق مستقيم يعودها الى المنزل والى الأمان .

الى الأمان حقا ؟ ..